مقاربات

تَحْلِيلُ مَوقِفٍ

٢٠٢٤

٢٢ كانون الأول

العَلاقَاتُ بَيْنَ «هَيئَةِ تَحْرِيرِ الشَام» و«إسْرَائِيل»

إعداد: مرصد مركز براثا

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

تَحْلِيلُ مَوقِف: العَلاقَاتُ بَيْنَ «هَيئَةِ تَحْرِيرِ الشَام» و«إسْرَائِيل»

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

©جميع الحقوق محفوظة للمركز

تَحْلِيلُ موَقف: العلاَقَاتُ بَيْنَ "هَيئَةِ تَحْرِيرِ الشّام" و"إسْرَائِيل"

مقدمة

يتطلبُ تحليل موقف قائد تجمع الفصائل السورية أحمد الشرع (أبو محمد الجولاني) الجديد تجاه "إسرائيل"، والتي دعا فيها "إسرائيل" إلى وقف ضرباتها الجوية والانسحاب من الأراضي السورية، وتعهد بأن لا تكون سورية ممراً لضرب "إسرائيل"، يتطلب هذا الموقف فهماً للسياق السياسي والعسكري في سورية، بالإضافة إلى دراسة تحولات "هيئة تحرير الشام" على مر السنوات، والإلمام بآليات العقل السياسي لحركات الإسلام السياسي، وتمُثل هذه التصريحات الأخيرة، تحولاً جذرياً في خطابه، وتطرح تساؤلات هامة حول دوافعه وأهدافه الاستراتيجية.

١ - البراغماتية السياسية كمحرك رئيسي

يُشير تحول (الجولاني) من التوعُّد بـ«فتح الأقصى» بعد «فتح الشام» إلى موقف الالتزام بعدم السماح بتهديد "إسرائيل" من سورية إلى تبنيه النهج البراغماتي المعتاد لهذه الحركات في سياستها الخارجية، فبمجرد التصدي لمسؤوليات الحكم ومحاولة تلبية متطلبات الدولة وشعبها، يُدرك قيادات الهيئة أن المواجهة المباشرة مع "إسرائيل" ليست في مصلحة الهيئة/الحكومة/الدولة؛ باعتبارها مشروعًا لقوىً دولية، خاصة مع تحويل نمط قتال "هيئة تحرير الشام" من حرب العصابات إلى جيش نظامي، كذلك، في ظل سعي "الهيئة" لتثبيت سيطرتها على المناطق التي تُديرها في ظل صراعات داخلية بين الفصائل، مع وجود تطلُّعات شعبية وآمال مرتفعة من النظام الجديد، الذي اكتفى في تعريفه لهويته والصراع الذي يخوضه أنه صراع (الرفاه – التنمية – السلام - إعادة الإعمار ...) متنازلاً عن القيم المبدئية التي كانت ترفعها الهيئة مثل كل الحركات والفصائل الإسلامية (الاستقلال – السيادة – حاكمية الإسلام والأخلاق - ..).

استناد (الجولاني) في تصريحاته إلى اتفاقية فك الاشتباك لعام ١٩٧٤ يُعزز فرضية البراغماتية السياسية، فهذه الاتفاقية، على الرغم من أنها لم تمنع تماماً وقوع حوادث عسكرية على مر السنين، إلا أنها تُمثل إطاراً قانونياً ودولياً يُمكن البناء عليه لإدارة الصراع وتجنب التصعيد، بالإضافة إلى ذلك،

يمُكــن اعتبار الالتزام بالاتفاقية محاولة من (الجولاني) لإضفاء شرعية دولية على وجود "هيئة تحرير الشام" في المنطقة، وإظهار التزامه بالقانون الدولي وتأتي هــذه التصريحات ضمن اتجاه عــام لدى "الهيئــة" في الاحتكام إلى القانون الدولي والمؤسســات الدولية تبعًا لنصائح بارزين على رأسهم وزير الخارجية القطري الأسبق (حمد بن جاسم)، الذي نصح التعامل مع التوغل "الإسرائيلي" من خلال التوجه بشكوى إلى مجلس الأمن، إلا أنه من الناحية العمليــة يمكن اعتبار تصريحــات الجولاني حول القانــون الدولي نوع من الخطــاب الداخلي الذي لن يتعدى تأثيره حدود تســجيل المواقف، فيما أن الوقائع والتاريخ القريب أثبتا أن "إسرائيل" لا تتراجع إلا من خلال خيارين:

الأول، توازن رعب.

الثاني، تنازلات وتبادل مصالح وصولاً إلى التطبيع.

٢ - تغير الأولويات: من الثورة إلى الدولة

يُلاحــظ في تصريحات (الجولاني) تحــولاً في أولوياته، من التركيز على إسقاط النظام السوري إلى التركيز على بناء الدولة وإعادة الإعمار، هذا التحول يُشير إلى رغبته في الانتقال من مرحلة الثورة إلى مرحلة بناء مؤسسات الدولة وإدارة المناطق التي يسيطر عليها، هذا يتطلب بالضرورة بيئة «آمنة ومستقرة»، وهو ما يُفسّر دعوته لوقف الضربــات الإسرائيلية. لكن هذا التحوّل يتناقض

مع مبادئ وخطاب الحركات الإسـلامية (وخطاب جبهة النصرة نفسها) التي تعتـبر أن قيادة الدولة مجرد وسـيلة من أجل التحرر من التبعية والاسـتعمار وليست غاية في حد ذاتها، فتجاوز المعطيات الجيواستراتيجية الإقليمية من حرب طوفان الأقصى والتوغل الإسرائيلي والانقسام الداخلي المحتمل على أسـس مذهبية أو إثنية والقفز على كل ذلك وتقديـم أولويات (الرفاه – البناء – الإعمار – الاسـتقرار) سيضطر النظام الجديد في دمشق لتقديم الكثير من التنازلات المبدئية من أجل استجرار الدعم من أنظمة الخليج ورفع العقوبات من الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة.

إعادة بناء سورية وتوفير الخدمات الأساسية للسكان يمُثل أولوية قصوى لـ (الجولاني) في هذه المرحلة، فمن ناحية يضغط النظام التركي من أجل تحقيق الأرضية الكافية لبدء عملية "إعادة الإعمار" التي سـتكون بمثابة طوق نجاة للاقتصاد التركي المتهاوي من خلال عقود شركات المقاولات والتوريدات التركية، كما أن (الجولاني) يُدرك أن الاسـتيلاء على الحكم لم يكن بحاضنة شعبية حقيقية تكوّنت بخطاب إسـلامي مبدئي، وإنما كان بخطاب إعلامي عاطفـي ينتج عنه خطـاب مطلبي لتحقيق الاسـتقرار وتوفـير الاحتياجات الأساسية مثل الطاقة والماء والاتصالات وإعادة إعمار البنية التحتية المُدمرة، هذا يتطلب مـوارد مالية ضخمة، وبيئة آمنة تجذب الاسـتثمارات وتُشـجع المنظمات الدولية على تقديم المساعدة. وهو ما لن يقدر عليه النظام الجديد

إلا بالانقلاب والتحوّل الكامل نحو المعسكر الغربيّ، وتقديم كل ما يمكن لاسترضاء واستجرار دعم أنظمة الخليج!

٣ - تغيير هوية التنظيم وهوية الدولة

يسعى (الجولاني) إلى تغيير صورة "هيئة تحرير الشام" من جماعة جهادية إلى قوة سياسية براغماتية، هذا التغيير في الهوية يتطلب تغييراً في السياسات والخطابات، بما في ذلك الموقف من «إسرائيل»، التقارب مع "إسرائيل" قد يُساهم في تغيير النظرة الدولية (الغربية) إلى «هيئة تحرير الشام»، ويُسهّل عملية دمجها في المشهد السياسي السوري المستقبلي واستيلائها على النصيب الأكبر من السلطة، فكما يلاحظ أن طاقم مجلس الوزراء الجديد الذي عينته الهيئة بالكامل ينتمي تنظيميًا بشكل رسمي إلى الهيئة، ولم تلتفت إلى تعيين وزراء أو مدراء عامين من المكونات الأخرى.

في المحصلة فإن اسقاط دمشق -بغض النظر عن تفاصيله- تم بدون إراقة قطرة دم واحدة من عناصر "هيئة تحرير الشام" وبدون إطلاق قذيفة واحدة من الذخائر التي كانت معدة لمواجهة جيش قوامه مئات الآلاف، فلا يُعلم ما هو السبب الحقيقي الذي دعى الهيئة للتخلي عن نمط الحروب غير المتكافئة (حرب العصابات) التي كانت تمارسها بكفاءة ضد النظام السوري وانشغلت بمغانم الحكم في دمشق عن مواجهة الاحتلال "الإسرائيلي" أو إسناد أهل

غزة كما كانت تلك أمنية جميع هذه الجماعات!

٤-الحسابات الداخلية: كسب ثقة السكان

لا يمُكن إغفال البُعد الداخلي في تحليل موقف (الجولاني) الجديد تجاه "إسرائيل"، فأي ترتيبات جديدة في سـورية تتطلب بالضرورة استقراراً أمنياً، ولا سبيل لتحصيل الاستقرار الداخلي إلا من خلال أحد مسارين:

المسـار الأول، تسـكين الجبهة الداخلية من خلال تطمين الأقليات من خلال إشراكهم في الحكومة الانتقالية ولجنة كتابة الدسـتور، وعقد محاكم ثورية تحاكم فلول النظام السـابق بعيدًا عن أسـلوب التصفيـات الميدانية، والتنـازل عن بعض المواقع والمغانم للفصائل المعارضة الأخرى غير "هيئة تحرير الشـام"، ومن ثم التفرُّغ لمقاومة العـدو الصهيوني الذي أصبح على بُعد ٢٠ كم من دمشق من خلال تكوين مجموعات مقاومة شعبية والاستفادة من خبرات ودعم محور المقاومة أو أي من الحلفاء الإقليميين المسـتعدين للمساعد في التصدي للعدوان "الإسرائيلي"! وتوجيه كل الطاقات التي كانت محشودة لمواجهة النظام السابق إلى العدو الحقيقي للأمة!

المسار الثاني، هو العكس من المسار الأول، أي تسكين الجبهة الإسرائيلية والاقتصار على الخطاب الحقوقي والمناشدات الدولي، والتفرّغ لمقتضيات الاسـتئثار بالحكم ومحاولة حل الأزمات الداخلية إما بتسـليط سيف القمع

أو بالمزيد من المناورات الدعائيــة مثل المبالغة في التهويل الإعلامي حول ســلوك النظام الســابق، أو لفت الأنظار إلى عداوة إيران أو استجرار الصراع الطائفي السني الشيعي!

أثبتت التجربة أنه عندما توضع تلك التنظيمات بين الخيارين المذكوريْن آنفًا فإنها تميل عادة إلى تقديم المكاســب الآنية القريبة على حساب تجاوز الثوابت والخطوط الحمراء الاستراتيجية، كذلك كان سلوك حركات الإسلام السياسي في مصر وتونس والسودان بمجرد الوصول إلى الحكم: التنازل عن الخطابات العقائدية ومحاولة التطبيع مع القوى الدولية للحفاظ على الحكم كأولويــة أولى. وبالتالي، يُدرك (الجولاني) أن المواجهة مع "إسرائيل" تُهدد الاســتقرار الداخلي الهشّ، ما يدفعه إلى تبنّي موقــف مُهادن تجاه إسرائيل، يســعى إلى خلق بيئة آمنة تُتيح له التركيز على السيطرة على مؤسسات الدولة وتثبيت سلطته، فضلاً عن ذلك فالدعوة للسلام والاستقرار قد تُكسبه مقبولية دوليــة وتعزز من شرعيته الدوليــة كحاكم، وعلى صعيــد الخطاب الداخلي يُحاول (الجولاني) إقناع السكان بأنه قادر على توفير الأمن والاستقرار وإعادة بناء سورية بعد سنوات من الحرب!

٥ - منافسة القوى الإقليمية

تشــهد ســورية صراعاً مُعقداً بين قوى إقليميــة ودولية مُختلفــة، يُحاول

(الجـولاني) اسـتغلال هذا الـصراع لصالحـه، وربما يـرى في التقارب مع "إسرائيل" وسيلة لكسب دعمها أو على الأقل تحييدها في مواجهة خصومه الآخرين، إلا أن هناك مجموعة من العوامل تشير إلى إمكانية تغير الموقف:

أ. موقف إسرائيل: إذا لم تُبدِ "إسرائيل" أي تجاوب إيجابي مع دعوة (الجولاني)، أو إذا اسـتمرت في شن ضربات جوية على سورية، وأحرجته أمـام بيئته الحاضنـة، فقد يُعيد (الجـولاني) النظر في موقفه، خاصة إذا قامت الفصائل المناوئة لـ (الجولاني) باستغلال تناقـض موقفه من أجل المزايدة عليـه، فقد يتعرض (الجولاني) لضغـوط داخلية من داخـل "هيئة تحرير الشـام" أو من فصائل أخرى في سورية للتراجع عن موقفه المُهادِن تجاه إسرائيل.

ب. تطورات الأوضاع في سـورية: أي تغييرات جوهرية في المشهد السياسي أو العسكري في سورية قد تؤثر على موقف (الجولاني) تجـاه إسرائيل، على سـبيل المثـال، إذا تم التوصل إلى تسـوية سياسية شاملة، فقد يُعيد (الجولاني) النظر في علاقته مع إسرائيل.

ج. تدحرج الصراع (التركي – "الإسرائيلي"): من خلال حرب الوكلاء فقـد تلجأ الولايـات المتحـدة و«إسرائيل» إلى الاسـتعجال في تسليح ودعم قوات سورية الديموقراطية (قسد) في سياق مشروع «الشرق الأوسـط الكبير»؛ وذلك خوفًا من تبدد قوة أكراد سورية

وعدم إتاحة الفرصة لاحقًا في عمل إقليم فدرالي يكون نواة دولة كردية في المستقبل، وهو ما لن تسـمح به تركيا باعتبار أنه محفّز لانشقاق أكراد تركيا وإيجاد موطئ تدريب وقيادة عمليات ومنفذ دعم للحركات الانفصالية الكردية في تركيا!

د. بروز جماعات مقاومة سورية للكيان المؤقت والاستفادة من حالة اللامركزية في شـن عمليات ضد الكيـان الصهيوني بنمط حرب العصابات والحرب الصاروخية كنموذج «حزب الله سـورية» أو ما تداول مؤخرا عما سمي «حزب الله كردستان».

خلاصة واستنتاج:

يُمثـل موقف (الجولاني) الجديـد تجاه "إسرائيل" تحـولاً نمطيًا لبعض جماعات الإسلام السياسي، مدفوع بمزيج من البراغماتية السياسية، وتبديل الخطـاب والأولويـات، بهدف الفـوز بالاعتراف الدولي ورفـع العقوبات، والتفرُّغ لإدارة الحسـابات الداخلية، مع ذلك، تبقـى مصداقية هذا التحول ومدى استمراريته رهينين بتطورات الأوضاع على الأرض وردود فعل الأطراف الإقليمية والدولية المعنية، المستقبل سيُكشف عما إذا كان هذا التحول يمُثل بداية مرحلة جديدة في الصراع السوري، أم أنه مجرد مناورة سياسية غير قادرة على التماسك شعبيًا أو إقليميًّا!

مـع ذلك، يجب التأكيد على أن هـذه التحليلات تظل في إطار التوقعات والاحتمالات، وأن المسـتقبل هو الذي سيُكشف عن الدوافع الحقيقية وراء موقـف الجولاني، و عما إذا كان هذا التحول اسـتراتيجياً أم تكتيكياً، يجب أيضاً مراقبة ردود فعل "إسرائيل" و القوى الإقليمية والدولية الأخرى على هذا الموقف، لتكوين صورة أكثر وضوحاً عن انعكاسـاته على المشهد السياسي في سورية، ولمعرفة ما إذا كان هذا الموقف سيُصبح سياسة ثابتة أم أن للميدان كلمة أخرى!

أخيراً يمُكن القول إن الموقف الراهن يُشير إلى براغماتية من قبل الجولاني، ولكن الظروف المتغيرة قد تُجبره على إعادة النظر في حساباته ومواقفه.